سلسلة الخطب المنبرية - خطب التوحيد

التوحيد

أهميته - وما يتعلق به - وما ينافيه

الخطبة: {١} أهمية التوحيد

خطبة جمعة ألقاها فضيلة الشيخ

أبو عبد الرحمن

رشاد بن أحمد الضالعي

دار الحديث السلفية

للعلوم الشرعية بالضالع

٢٤/محرم/١٤٤٥هجرية

سلسلة الخطب المنبرية - خطب التوحيد

التوحيد

أهميته - وما يتعلق به - وما ينافيه

الخطبة: {١} أهمية التوحيد

خطبة جمعة ألقاها فضيلة الشيخ

أبو عبد الرحمن

رشاد بن أحمد الضالعي

دار الحديث السلفية

للعلوم الشرعية بالضالع

٢٤/محرم/١٤٤٥هجرية

محفوظة جميع الحقوق

اسم الكتاب: سلسلة خطب التوحيد
المؤلف: أبو عبدالرحمن رشاد بن أحمد الضالعي
مقاسات الكتاب: ١٧×٢٤
تاريخ التنسيق: ١٤٤٥هـ
الطبعة: (الأولى)
دار الحديث السلفية - الضالع - اليمن

دار الحديث السلفية

للعلوم الشرعية بالضالع

سلسلة خطب التوحيد

أهمية التوحيد

إنَّ الْحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِيْنُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوْذُ بِاللهِ مِنْ شُرُوْرِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيْمًا كَثِيْرًا إِلَى يَوْمِ الدِّيْنِ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

اعْلَمُوْا أَنَّ خَيْرَ الْحَدِيْثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُوْرِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أيها الناس، يقول الله سبحانه وتعالىٰ في كتابه الكريم: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٨]، ففي هذه الآيات، يبين الله سبحانه وتعالىٰ أنه خلق العباد في هذه الحياة الدنيا من الجن والإنس لغاية واحدة، فكلُّ المكلفين من الإنس

من بني آدم ومن الجن من ذرية إبليس كلهم خلقهم الله تعالىٰ لغاية واحدة، لم يخلقهم لشيء سوىٰ هذه الغاية، وهي عبادة الله وحده لا شريك له، فإن هذه الآية فيها حصر، من أقوىٰ صيغ الحصر، وهو الاستثناء بعد النفي، ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾، أي ما أوجدتهم في هذه الحياة إلا لهذه الغاية، وتكفل الله بأرزاقهم، وما يحتاجون، لأجل تحقيق هذه الغاية، وأخبر أنه ليس بحاجتهم، ولا يزيده طاعتهم شيئًا، ولا تضره معصيتهم شيئًا، وإنما خلقهم ليقوموا بهذا الواجب فينفعوا أنفسهم، ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾، والمقصود من العبادة التوحيد، أي عبادة الله تعالىٰ وحده دون ما سواه، فإن الذي يعبد الله ويعبد غير الله لا يكون عابدًا لله تعالىٰ حقًا، فإن المشركين الذين بُعث فيهم محمد ﷺ، وهكذا من كان قبله من الأنبياء، كلهم بُعثوا إلىٰ أناس كانوا يعبدون الله، ولكنهم عبدوا غير الله مع الله، كان المشركون يصلون ويحجون ويتصدقون ويتقربون ولكنهم خلطوا هذه العبادة بعبادة سوىٰ الله سبحانه وتعالىٰ، فلم يعملوا بهذا المقصود الذي هو التوحيد.

ولذا لم يستغربوا دعوة الرسول إلىٰ عبادة الله؛ لأنهم كانوا يعبدون الله، وإنما استغربوا دعوتهم إلىٰ أن يُعبد الله وحده، ورأوا هذا شيئا عجبا من محمد كيف يدعو إلىٰ عبادة إله واحد، ﴿أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾﴾ [ص: ٥]، وقال الله عن قوم هود: ﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ [الأعراف: ٧٠]، فاعترضوا علىٰ الأنبياء حين دعوا إلىٰ عبادة الله وحده، ولم يعترضوا عليهم الدعوة إلىٰ عبادة الله، فقد كانوا يعبدون الله، كانوا يصلون عند البيت وكانوا

يتصدقون ويحجون ويعتمرون ويعتكفون، وكان يقول أحدهم في طوافه بالبيت إذا حج: (لبيك لا شريك لك، إلا شريكًا هو لك)، فكانوا إذا وصلوا هذه الكلمة (لبيك لا شريك لك)، يقول النبي ﷺ: «**قَدْ، قَدْ**»، أي: يكفي، فيقولون: (إلا شريكًا هو لك، تملكه وما ملك)، بل ما عبدوا الأصنام والأوثان إلا لأجل أن تقربهم إلىٰ الله، فكانوا يعظمون الله أكثر من تعظيم الأصنام، وقالوا: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]، أي نحن نعبد هذه الأوثان لتقربنا إلىٰ الله، فكان مقصودهم أن يتقربوا إلىٰ الله، ولكن بعبادة غير الله -جل وعلا-، فكانوا بهذا مشركين، وكانوا من أهل النار من مات منهم علىٰ ذلك، وقاتلهم الرسول ﷺ، واستحل دماءهم وأموالهم وسبىٰ نساءهم وذراريهم؛ لأنهم ليسوا من المسلمين، مع أنهم كانوا يعبدون الله؛ لأنهم لم يحققوا الغاية العظيمة، التي هي توحيد الله -جل وعلا-.

فأنت أيها المسلم يجب عليك أن تعرف هذا، ومن الخطأ العظيم أن يموت المسلم جاهلاً بهذه الغاية العظيمة، أعظم غاية وُجدْتَ في الدنيا لأجلها، أن توحد الله -جل وعلا- وتُفرده الله جل وعلا بالعبادة.

قال النبي ﷺ: «**قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ : أَنَا أَغْنَىٰ الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**».[1] فكل من عمل عملاً أشرك غير الله مع الله؛ تركه الله وترك عمله.

---

(١) رواه مسلم (٢٩٨٥ - ٤٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

فيا أيها المسلم اعرف الغاية التي خلقك الله تعالىٰ لأجلها، فالله خلقك لتقيم توحيده في الأرض، لتوحد الله بأقوالك وبأفعالك وبمعتقداتك وبسائر شأنك، أن تعبد الله وحده لا شريك له، فالله خلقنا -جل وعلا- لذلك، لعبادته وتوحيده، وأول أمْرٍ أمَرَ الله به في القرآن، هو توحيد الله، افتح المصحف واقرأ سورة البقرة تجد أول أمر فيهـــا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١﴾ [البقرة: ٢١]، وهكذا أول ما أُمِرَ به الرسول من أمر الدعوة هو هذا الأمر، أول الآيات نزلت علىٰ الرسول في شأن الدعوة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ٥﴾ [المدثر: ١-٥] أي اهجر الأصنام، اهجر الأوثان التي عبدها المشركون، اهجر ذلك كله، ووحد الله -جل وعلا-.

هذا أول أمر أُمر به عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، لتعلم أهمية ذلك، حتىٰ عرف منه ذلك المؤمنون والمشركون، عرفوا أن أول أمر يدعو إليه هو إفراد الله -جل وعلا- بالعبادة، وهو التوحيد.

أبو سفيان لما ذهب إلىٰ الشام في التجارة فدعاه ملك الروم هرقل، وقد وصلته رسالة من النبي ﷺ يدعوه فيها إلىٰ الإسلام، قال هرقل لأبي سفيان إلىٰ ماذا يدعوكم محمد، قال: «يَأْمُرُنَا أَنْ نَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ لاَ نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَيَنْهَانَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا». [1] هذه دعوته التي بعث بها عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

---

(١) رواه البخاري برقم (٢٩٤١).

وهكذا في الحديث الطويل حديث أم سلمة عند الإمام أحمد في قصة هجرة الصحابة إلىٰ الحبشة، لما جاء المشركون من أهل مكة يحرِّضون النجاشي علىٰ الصحابة الذين هاجروا إلىٰ الحبشة، فقالوا له: إن هؤلاء أتوا بدين مخترع، لم يدخلوا في دينك -وكان نصرانيًا-، ولا في دين قومهم، ولا في دين أحد من الأمم، فدعاهم النجاشي، وقال لهم: ما هذا الدين الذي فارقتم به قومكم، ولم تدخلوا في ديني ولا في دين أحد من الأمم، فقام جعفر ابن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال: (يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ، إِنَّا كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ، نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ، وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ، وَنُسِيءُ الْجِوَارَ، يَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ، فَكُنَّا عَلَىٰ ذَلِكَ، حَتَّىٰ بَعَثَ اللهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا، نَعْرِفُ نَسَبَهُ، وَصِدْقَهُ، وَأَمَانَتَهُ، وَعَفَافَهُ، فَدَعَانَا إِلَىٰ اللهِ ؛ لِنُوَحِّدَهُ، وَنَعْبُدَهُ، وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنَ الْحِجَارَةِ، وَالْأَوْثَانِ...). [1] ثم قرأ عليه شيئا من القرآن فقال النجاشي حين سمع منهم القرآن: «إِنَّ هَذَا وَالَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ لَيَخْرُجُ مِنْ مِشْكَاةٍ»، وآمن بالرسول ﷺ وهو لم يره حين علم أن دعوته هي الدعوة إلىٰ توحيد الله -جل وعلا-.

فهذه أعظم دعوة وأعظم واجب عليك، ومن الخطأ العظيم أن يعيش المسلم جاهلاً بهذا الأمر العظيم، أمرٌ خلقك الله لأجله، أوجدك في هذه الدنيا لأجله؛ أيليق أن تُقصِّر فيه أو أن تجهل بعض أموره.

---

(١) رواه أحمد (١٧٤٠) وحسنه الألباني.

عاش نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ منذ اللحظة الأولىٰ في بعثته إلىٰ آخر أنفاس حياته وهو يدعو إلىٰ التوحيد، لم يدع فرصة ولا مناسبة للدعوة إلىٰ هذا الأمر العظيم إلا دعا إليه.

بقي في مكة ثلاثة عشر عامًا لم يُفرض عليه شيء سوىٰ التوحيد، حتىٰ فُرضت الصلاة قبل الهجرة بيسير، ثلاثة عشر عامًا يدعو إلىٰ التوحيد، تنزل الآيات المكية فيها تقرير أمر التوحيد، ومُحاججة المشركين، ومجادلتهم لتقرير هذا الأمر العظيم، ثلاثة عشر عامًا ليس هناك شيء أساسي يدعو إليه كالتوحيد.

نعم، دعا إلىٰ مكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال، ودعا إلىٰ الصلاة في آخر العهد المكي، ووجبت عليه، ولكن أغلب دعوته كانت إلىٰ توحيد الله.

ركب معه معاذ يومًا كما في الصحيحين خ(٢٨٥٦) م(٣٠-٤٩-) فقال: «**يَا مُعَاذُ، تَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَىٰ الْعِبَادِ؟ وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَىٰ اللهِ؟**»، قَالَ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**فَإِنَّ حَقَّ اللهِ عَلَىٰ الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوا اللهَ، وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَىٰ اللهِ** عَزَّوَجَلَّ **أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**».

ركب معه ابن عباس يومًا كما في سنن الترمذي (٢٥١٦)، فقال: «**يَا غُلَامُ، إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ**، - لا تسأل غيره- **وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ**». غلامٌ صغيرٌ يعلمه التوحيد ويلقنه ذلك، يعلم الصغير والكبير والمتعلم والجاهل.

أتاه معاوية بن الحكم فأخبره أنه ضرب جارية له ويريد عتقها، قال: «**ائْتِنِي بِهَا قبل أن تعتقها**»، ليختبر توحيدها، فلما جاءت، قال لها: «**يا جارية أَيْنَ اللهُ؟**»، قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ، قَالَ: «**مَنْ أَنَا؟**»، قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، قَالَ: «**أَعْتِقْهَا، فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ**». (١) شهد لها بالإيمان لما سمع منها صلاح العقيدة.

وأتاه أَبو جُرَيٍّ جَابِرُ بْنُ سُلَيْمٍ كما في سنن أبي داود (٤٠٨٤) وكان من الأعراب فقال له: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ؟ قَالَ: «**أَنَا رَسُولُ اللهِ الَّذِي** -أي الله الذي- **إِذَا أَصَابَكَ ضُرٌّ فَدَعَوْتَهُ كَشَفَهُ عَنْكَ، وَإِنْ أَصَابَكَ عَامُ سَنَةٍ** -أي قحطٌ وجَدْب- **فَدَعَوْتَهُ، أَنْبَتَهَا لَكَ، وَإِذَا كُنْتَ بِأَرْضٍ قَفْرَاءَ - أَوْ فَلَاةٍ - فَضَلَّتْ رَاحِلَتُكَ فَدَعَوْتَهُ، رَدَّهَا عَلَيْكَ**». فخاطبه بما يفهم ليقرر التوحيد عنده ويوضِّحه له.

كان يأتيه الأعرابي يتكلم بالكلام المخالف فلا يسكت حتىٰ يبين له، أتاه أعرابي كما في سنن أبي داود (٤٧٢٦) عن جبير بن مطعم رضي الله عنه، فقال يا نبي الله! إِنَّا نَسْتَشْفِعُ بِكَ عَلَىٰ اللهِ، وَنَسْتَشْفِعُ بِاللهِ عَلَيْكَ. فتغير وجه الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وجعل يسبح الله، ويقول: «وَيْحَكَ، أَتَدْرِي مَا تَقُولُ! إِنَّهُ لَا يُسْتَشْفَعُ بِاللهِ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ، شَأْنُ اللهِ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ، وَيْحَكَ، أَتَدْرِي مَا اللهُ؟...». تستشفع بالله إلىٰ مخلوق، وجعل يسبح حتىٰ عُرف ذلك في وجوه أصحابه، فهذه كلمة سمعها تخالف التوحيد فلم يسكت حتىٰ بيَّنها.

---

(١) رواه مسلم (٥٣٧).

وأتاه رجل كما في حديث ابن عباس، وقال له: مَا شَاءَ اللهُ، وَشِئْتَ، فَقَالَ لَهُ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**أَجَعَلْتَنِي لِلَّهِ عَدْلًا؟**» تجعلني مساويا لله؟ تقول: ما شاء الله وشئت، «**بَلْ مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ**». (١) لم يكن ليسكت عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ على ذلك ولو من أعرابي.

أتاه ناس من الأعراب فقالوا: يا رسول الله! أَنْتَ سَيِّدُنَا. فَقَالَ: «**السَّيِّدُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ**»، قالوا: أنت أَفْضَلُنَا فَضْلًا، وَأَعْظَمُنَا طَوْلًا. فَقَالَ: «**قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ**»، (٢) انتبهوا من استدراج الشيطان ببعض الألفاظ التي قد تخالف العقيدة والتوحيد.

سمع عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في أول إسلامه يوما يحلف بأبيه، فقال: «**لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، فَمَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللهِ، وَإِلَّا فَلْيَصْمُتْ**». (٣) لأن الحلف بغير الله ينافي التوحيد ولذا قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك**». (٤)

وخرج يوما مع أصحابٍ له حُدثاء عهد بإسلام ليس لهم من إسلامهم إلا نحو عشرين يوما، أسلموا يوم فتح مكة ثم خَرَجُوا معه إِلَىٰ حُنَيْنٍ فَمَرُّوا بِشَجَرَةٍ لِلْمُشْرِكِينَ يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ . يُعَلِّقُونَ عَلَيْهَا أَسْلِحَتَهُمْ، -يقولون إن تعليق الأسلحة بهذه

---

(١) رواه أحمد (١٨٣٩).

(٢) رواه أبو داود (٤٨٠٦) عن عبدالله بن الشخير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٣) رواه البخاري (٦١٠٨)، ومسلم (١٦٤٦ -٣-) عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

(٤) رواه أبو داود (٣٢٥١)، وأحمد (٦٠٧٢).

الشجرة يجعلها قوية- فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ -أي شجرة ذات معاليق- كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ. -وكانوا حدثاء- فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «**سُبْحَانَ اللهِ، هَذَا كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَىٰ:** ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ﴾[سورة الأعراف:١٣٨]**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَرْكَبُنَّ سُنَّةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ**».[1] حين طلبوا هذه الشجرة يعتقدون أنها تأتي بالبركة، فأنكر عليهم الرسول وأخبرهم أن هذا الطلب مشابِهٌ لطلب المشركين إلها يعبدونه سوىٰ الله.

وهكذا كل حياته عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مع الصغير والكبير والذكر والأنثىٰ كان داعيًا إلىٰ توحيد الله، إلىٰ تحقيق هذا الأمر في الأقوال والأفعال والمعتقدات، وفي سائر شؤون حياته عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

أقول ما سمعتم، والحمد لله رب العالمين

---

(١) رواه الترمذي (٢١٨٠)، وأحمد (٢١٨٩٧)، عن أبي واقد الليثي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليما كثيراً.

أيها الناس! نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كما قضىٰ كل حياته في الدعوة إلىٰ هذا الأمر العظيم إلىٰ توحيد الله -جل وعلا- كذلك كان في آخر حياته، ومات علىٰ ذلك.

جاء في صحيح مسلم (٥٣٢ -٢٣-) عن جندب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ، قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِخَمْسٍ، -أي في مرضه الذي مات فيه- وَهُوَ يَقُولُ : «**أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ، إِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ**». اتخاذ القبور مساجد ذريعة إلىٰ الشرك بالله، ذريعة إلىٰ عبادتها من دون الله، ذريعة إلىٰ تضييع التوحيد، فكان يحذر منه في آخر حياته وهو مريض.

بل وهو في سكرات الموت، ففي الصحيحين خ(٤٣٦) م(٥٣١ -٢٢-) عن عائشة وابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا ، قالا: لَمَّا نَزَلَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ -أي نزل به الموت- طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيصَةً لَهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ -أي ثوبًا من شدة السكرات والكرب-، فَإِذَا اغْتَمَّ بِهَا -وانقطع نفسه- كَشَفَهَا عَنْ وَجْهِهِ، فَقَالَ وَهُوَ كَذَلِكَ -أي وهو يعاني سكرات الموت-: «**لَعْنَةُ اللهِ عَلَىٰ الْيَهُودِ، وَالنَّصَارَىٰ؛ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**». يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا.

لم ينسَ هذه الدعوة عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وهو في سكرات الموت (لعنة الله علىٰ اليهود والنصارىٰ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)، أي فاحذروا أن تصنعوا كما صنعوا، فإنكم إذا جعلتم القبور مساجد؛ عبدتم تلك القبور من دون الله، وأخللتم بتوحيد الله -جل وعلا- الذي خلقكم الله لأجله.

وهكذا حين يبعث الدعاة والعلماء من الصحابة إلىٰ البلدان، أولُ ما يحثهم ويحظهم علىٰ هذا الأمر، جاء في الصحيحين خ(٧٣٧٢) م(١٩ -٢٩-) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أن النبي ﷺ لما بعث معاذًا إِلَىٰ الْيَمَنِ قال: «**إنك تأتي قومًا أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه أن يقولوا: لا إله إلا الله**»، جاء في رواية للبخاري: «**فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَىٰ أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ تَعَالَىٰ**». أول أمر تبدأ به، أول دعوة تدعو الناس إليها؛ أن يوحدوا الله -جل وعلا- أن يعبدوا الله وحده لا شريك له، أن يحققوا هذه الغاية التي خلقهم لأجلها، وهكذا كل الأنبياء والرسل الذين بعثهم الله إلىٰ الأمم لأجل هذه الغاية، ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا﴾ لماذا؟ ﴿أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، اجتنبوا عبادة غير الله.

مكثت البشرية عشرة قرون من بعد آدم ليس فيها شرك، فلم يبعث الله رسولاً حتىٰ وقع الشرك في الأرض في قوم نوح، فبعث الله نوحًا، كما قال ابن عباس رضي الله عنه، إن بين آدم وبين نوح عشرة قرون كلها علىٰ التوحيد، فلما وقع الشرك بعث الله الرسل؛ لأن هذا أعظم ذنب عُصي اللهُ تعالىٰ به، ذنب ليس لصاحبه إلا النار ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [سورة المائدة:٧٢]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [سورة النساء:٤٨] ، فكل الذنوب مهما عظمت سوىٰ الشرك، يغفرها الله إن شاء لمن شاء من عباده، إلا الشرك فلا يغفره الله إلا بتوبة صادقة قبل الموت.

فياعباد الله، هذا أعظم واجب أوجبه الله علينا، هذا الأمر الذي خلقنا الله لأجله، كم ممن ينتسب إلىٰ الإسلام اليوم يُخلُّون بهذا الواجب، ملايين ممن ينتسب إلىٰ الإسلام

أخلوا بهذا الأمر الذي خلقهم الله لأجله، ترىٰ الرافضة وهم ملايين حول العالم، يعبدون القبور ويدعون الحسين من دون الله، ويدعون عليًا، ويدعون من زعموا أنهم من أوليائهم وأئمتهم سوىٰ الله -جل وعلا-.

ترىٰ الصوفية مع كثرتهم حول العالم عاكفين علىٰ عبادة القبور، ودعاء الأولياء، وإذا نُصح أحدهم قال: هؤلاء صالحون، ونحن نتوسل بهم إلىٰ الله، نحن لا نعبدهم، ولكن نجعلهم وسيلة إلىٰ الله، حتىٰ إنَّ بعض الصوفية الذين كانوا في هذه البلدان يدعو إلىٰ التصوف كان يقول: أنت اذا أردت أن تدخل علىٰ مسؤول أو علىٰ ملك أو علىٰ كبير؛ تذهب إلىٰ رجل من أصحابه وجلسائه ليدخلك عليه، ولا تدخل عليه مباشرة، فهكذا الله أنت تصل إلىٰ الله عبر هؤلاء الأولياء والصالحين. هكذا يقول.

وهذا فيه تنقُّص لله سبحانه وتسويةٌ له بالمخلوقين، وهو عين شرك كفار قريش، فكفار قريش ما عبدوا الأصنام والأولياء لأجل ذاتها، ولكن عبدوها لأجل أن توصلهم إلىٰ الله، قالوا: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣].

ملايين ممن ينتسب إلىٰ الإسلام اليوم يعيش علىٰ الشرك وعلىٰ الإخلال بهذا الحق العظيم الذي هو توحيد الله -جل وعلا-.

فيا أيها المسلم هذا أهم واجب أوجبه الله عليك، ولا يجوز لمسلم أن يعرض عن تعلمه أو طلبه، فإن العلم منتشر بين الناس، والدعوة إلىٰ توحيد الله قائمة، فواجب علىٰ المسلم أن يطلب ذلك وأن يتعلمه حتىٰ يعبد الله علىٰ بصيرة، حتىٰ ينجو في الدنيا والآخرة.

إن الإخلال بهذا الأمر ليس بالأمر اليسير، إن الإخلال بأمر التوحيد يترتب عليه إما مآل إلىٰ الجنة أو النار، إن الإخلال بهذا الأمر يترتب عليه أمور عظيمة من أحكام الدنيا وأحكام الآخرة، فواجب علىٰ المسلم أن يعتني بهذا الأمر الذي أوجبه الله عليه.

ولا سعادة للعباد ولا هداية لهم ولا أمن ولا استقرار ولا تمكين ولا تثبيت إلا بهذا الأمر العظيم، ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أي: وحدوا الله وأخلصوا له ﴿وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾ أي لم يخلطوا توحيدهم لله بالشرك ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢﴾ [سورة الأنعام:٨٢]، لهم الأمن والهداية في الدنيا، ولهم الأمن والهداية في الآخرة.

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗا﴾ [سورة النور:٥٥]، فإذا وُجدت عبادة الله وعدم الإشراك به؛ حصل التمكين، وحصل الاستخلاف، وحصل للناس كل خير، إذا أُقيم توحيد الله؛ فشت المعاملات الطيبة والأخلاق الحسنة في المجتمعات، فتوحيد الله كشجرة تنبت في الأرض وتحمل من أصناف الثمار، فهو شجرة تنبت في القلب فيتولد عنها الأعمال الصالحة والأخلاق الطيبة والعقائد المستقيمة وكل خير للناس.

﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ﴾ وهي كلمة التوحيد: لا اله الا الله، ﴿أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ٢٤ تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذۡنِ رَبِّهَاۗ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ٢٥﴾ [سورة إبراهيم:٢٤-٢٥]، فهذه الشجرة المثمرة مثل للتوحيد في قلب المؤمن يثمر كل خير في هذه الحياة، فلا صلاح للعباد ولا صلاح لحياتهم ولا أمن ولا استقرار ولا تمكين ولا استخلاف إلا بتحقيق

هذه الغاية العظيمة التي أوجدنا الله في الدنيا لأجلها، فما وجدنا لغاية غير هذه الغاية العظيمة، وهي توحيد الله -جل وعلا-، وكل ما وراءها هو تبع لها.

فهذه نبذة عن أهمية التوحيد وأهمية تعلمه ووجوبه علىٰ العباد وأنه لا يجوز الإخلال ولا التقصير فيه من أحد من المسلمين، ما دام قادراً علىٰ تعلمه وتعليمه، فيجب علىٰ المسلم أن يتعلمه، ويجب نشره وبثه في الناس، يجب نشره في مجتمعات المسلمين في مدارس المسلمين في جيوش المسلمين في رجال المسلمين في نساء المسلمين، يجب علىٰ من ولاه الله الأمر أن يفشي هذا الأمر وأن ينشره وأن يحث الناس علىٰ الأخذ بهذا الأمر العظيم.

وفيما يأتي -إن شاء الله- من جُمَعٍ مستقبلة نتكلم عما يتعلق بالتوحيد وما هو الواجب فيه علىٰ المسلم؟ وما هو الذي ينافيه ويناقضه؟ لأن هذا الأمر كما سبق أهم واجب علىٰ العباد أن يتعلموه.

فنسأل الله -جل وعلا- بأسمائه الحسنىٰ وصفاته العلىٰ أن يعيننا علىٰ ذكره وشكره وحسن عبادته.

اللهم إنا نسألك الهدىٰ والتقىٰ والعفاف والغنىٰ.

اللهم آتِ نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها.

اللهم اغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين.

اللهم اجعل بلدنا هذا آمنا مطمئنًا وسائر بلاد المسلمين.

اللهم آمنا في أوطاننا، اللهم أصلح أئمتنا وولاة أمورنا، اللهم يسر لهم البطانة الصالحة التي تدلهم علىٰ الخير وتعينهم عليه.

اللهم ثبتنا علىٰ دينك حتىٰ نلقاك وأنت راض عنا برحمتك يا أرحم الراحمين.

والحمد لله رب العالمين.

٢٤ / محرم/ ١٤٤٥هجرية

دار الحديث السلفية

للعلوم الشرعية بالضالع